انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجم وقيل من عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها الى نفسه ويزعم انه وحي من الله تعالى وهو كاذب في ذلك فاجل الله تعالى وانزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه يعني يميلون اليه ويشيرون به اعجمي يعني وهذا هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الاعجم كان في لسانه مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب الى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني من الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو ان الذي يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم عنه انتم وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت بهذا البرهان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون اليه ولا هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه ويروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه. قوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة ثم اخبر الله ان الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني انما يقدم في الفرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما انت مفتر واولئك هم الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لسان لانه محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** قد قال تعالى انما يفتري الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول **قلت** قوله لازم انما يفتري الكاذب اخبار عن فعلهم وهو قوله فاولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من فحش الذنوب الكبائر لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمنون بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان الكفار اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه

فقال

فقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في ناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا والا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا قول ضعيف لان الآية مكية وهذا في اول الاسلام قبل ان يؤمر بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر ابن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة والاولى ان يقال ان الآية عامة في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا **فان قلت** المكره على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى الاستثناء في الا من اكره **قلت** المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة

فصل في حكم الآية

قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق وخباب وصهيب وبلال وعمار وابو ياسر وامه سمية فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذ الآخرين والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة واما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط ان طمانينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف او القتل على ان يشرب الخمر او يأكل الميتة او لحم الخنزير او نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافعي واكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة يعني يكون ذلك الاقدام على الارتداد على الكفر لاجل انهم استحبوا الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليستريح في الآخرة فاذا دخل النار علم خسرانه وظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)